مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 14 / العـدد:02 (نوفمبر 2026) ص 572– 587
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

عين صالح ودورها في التبادل التجاري بين توات والسودان الغربي

In Salah and Its Role in Trade Exchange Between Tuat and Western Sudan

ط. د. فاطمــة موسـاوي[1] ، أ د. مبـارك جعفـري[2]
Fatima Moussaoui[1], Pr: Mebarek Djaafri[2]
1 جامعة أدرار (الجزائر)، Fati.moussaoui@univ-adrar.edu.dz
2 جامعة أدرار (الجزائر)، mebarek76@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2025/08/14	تاريخ القبول: 2026/04/24	تاريخ النشر: 2026/11/25

الملخص: تعدّ مدينة عين صالح من أهم المراكز الصحراوية التي لعبت دورًا بارزًا في تنشيط حركة التبادل التجاري بين إقليم توات وبلاد السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر، بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي جعلها حلقة وصل بين شمال الصحراء وعمق إفريقيا الغربية. وتبرز أهمية هذا الموضوع في إبراز مكانة عين صالح ضمن شبكة الطرق التجارية الصحراوية، والكشف عن دورها في تنظيم حركة القوافل وتبادل السلع بين مختلف المراكز التجارية. كما يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الخصائص الجغرافية والتاريخية للمدينة، ودراسة أهم المسالك التجارية التي ربطت توات بالسودان الغربي عبرها، إضافة إلى التعرف على مكانة سوق عين صالح ودوره في تنشيط الحركة الاقتصادية. ويعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي من خلال توظيف الروايات التاريخية والمصادر الجغرافية، إلى جانب الاستفادة من الدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ التجارة الصحراوية.

الكلمات المفتاحية: التجارة، توات، السودان الغربي، المسالك، المقايضة.

Abstract

This study examines the role of In Saleh as an important desert trade center between Touat and Western Sudan in the nineteenth century. Because of its strategic location, the city connected the northern Sahara with West Africa and became part of the trans-Saharan trade network. The research explains how In Saleh helped organise caravans and supported the exchange of goods across the desert. Using a historical and analytical approach, the study also describes the city's geographical features and the main trade routes that passed through it. It highlights the economic importance of the In Saleh market and its role in promoting regional trade and prosperity.

Keywords: Trade, Tuat, Western Sudan, Routes, Barter, Market.

المؤلف المرسل: ط.د. فاطمــة موسـاوي، **الإيميل:** Fati.moussaoui@univ-adrar.edu.dz

مقدمة:

تعد مدينة عين صالح حلقة وصل إستراتيجية وعصباً تجارياً حيوياً ربط بين إقليم توات والسودان الغربي خلال القرن 19م، فكيف ساهم الموقع الجيوسياسي لعين صالح في تحويلها إلى مركز ثقل تجاري وقوة ربط لوجيستية للقوافل، وما هي الآليات التي ضبطت أسواقها ونظم المبادلات فيها؟ تساؤلات نجيب عنها من خلال طرق النقاط التالية: الموقع والتسمية، الأهمية الاقتصادية، المسالك عبر المدينة، وسوق عين صالح، وآليات التبادل لنخلص في النهاية إلى نتائج تبرز دورها الريادي في تاريخ المنطقة، وتكمن أهمية الدراسة في تحليل مقومات المدينة الاقتصادية واستنطاق مكانتها كـ "ميناء صحراوي" متميز. معتمدين المنهج التاريخي التحليلي لتتبع نشاط المدينة، والمنهج الوصفي لرسم خارطة المسالك.

2.الموقع والتسمية

1.2 الموقع: تقع مدينة عين صالح في منطقة تيديكلت، تحدها شمالاً المنيعة وجنوباً عين أمقل، ومن الناحية الشرقية فقارة الزوى، فقارة العرب، إيقسطن وحاسي الحجر وغربا إينغر (عبدالقادر، 2015م، صفحة 25).

2.2 التسمية: جذور التسمية "عين صالح" تعود إلى قصة تاريخية تناقلتها الروايات الشفوية المحلية، مفادها أن رجلاً يُدعى "صالح" حلَّ بالمنطقة فجالها بحثاً عن الماء، وبعثوره على عين ماء "نبع ماء" استقر بجوارها ومع مرور الزمن توسع العمران وازداد عدد السكان، ليصبح اسمه لصيقاً بالمكان كونه أول المستقرين فكانت "عين صالح"، بينما تشير رواية أخرى إلى أن التسمية تنسب إلى عبدٍ يسمى" صالح"، خلفه سيده على عين كانت تَرِدُهَا القوافل الحجية الآتية من أنحاء توات و قورارة والمغرب (أمحمد، م2020/2019، صفحة 90) لتعهدها والعناية بها ومن هنا كان أصل التسمية، وإين كان فقد ارتبط اسم المدينة بوجود العيون المائية التي كانت مصدراً للحياة في المناطق الصحراوية النائية وشكلت نقطة جذب للقوافل التجارية والمسافرين عبر الصحراء، وتشير الدراسات على أن أصل التسمية بربري، يتألف من "إن" بمعنى الاتجاه و"صالح "اسم الشخص، الذي تعهد العين وتواطن بجانبها.

حظيت المدينة بقسط وافر من اهتمام الرحالة الفرنسيين والعرب الذين قصدوا المنطقة في القرن 19م، بتكليف من السلطات الفرنسية بغرض الاستكشاف واستفاضوا في الحديث عن موقعها وواحاتها ومواردها الاقتصادية، منهم الرحالة الألماني جيرارد رولفس(Rohlfs)، سنة 1864الذي وصفها قائلا: "واحة عين صالح لها اتجاه عام من الشمال إلى الجنوب، قصورها مقامة كلها على الجهة الشرقية، لغابة النخيل وعلى السيول الرملية.....والأكثر أهمية هو قصر العرب، سكانه 1550ساكناً، دون احتساب عدد الأجانب الذين يتوقفون به للتجارة ". (Rohlfs, 2011,

(p. 130، والضابط لويس فانون(louis voinot) و دوماس (daumas) ،وبولسولييه(Poulossolier) (paulsoleillet و الإنجليزي قوردنلينغ (Gordon laing) الذي وصلها ديسمبر 1826ومن العرب نذكر الأغواطي الذي وصلها في بداية العام نفسه وغيرهم.

3. الأهمية الاقتصادية والتجارية لمدينة عين صالح:

تمتعت مدينة عين صالح على مر العصور بموقع إستراتيجي متفرد، خاصة فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية والتجارية التي نلمسها في الآتي:

- ❖ إستراتيجية الموقع: فعين صالح تقع في قلب الصحراء، على طريق القوافل التجارية الرابط بين الشمال والجنوب، فضلاً عن كونها معبر حيوي يربط الشرق (غدامس) بالشمال الغربي(تافيلالت).
- ❖ مركز تجميع رئيسي للقوافل التجارية في عمق الصحراء الجزائرية، ونقطة عبور ولتقاء هامة نحو أسواق شمال إفريقيا، ودول شمال البحر الأبيض المتوسط وأسواق غرب إفريقيا في الجنوب، يقول الأغواطي:"وبعد توات تأتي عين صالح في الجنوب، ثم تأتي بلاد السودان في أقصى الجنوب، حيث يتردد التجار لشراء العبيد وتراب الذهب" (الأغواطي، 2011م، صفحة 20) .
- ❖ تعدد وتنوع مسالكها ومساراتها التجارية التي تشكلت في الغالب من الأودية العمياء، وهي تمتاز بتماسك ومتانة تربتها وخلوها من التعقيدات التضاريسية المعيقة لحركة القوافل (فرج، 1977م، صفحة 78).
- ❖ بوابة الجزائر إلى السودان الغربي والمعبر التجاري الطبيعي للتجار القادمين من مختلف أنحاء الإقليم التواتي والمناطق الشمالية، كالعاصمة البليدة، قبائل الشعانبة وذوي منيع، ومن المغرب الكبير تافيلالت، طرابلس غدامس، والمغادرين باتجاه المناطق الجنوبية، كتمبكتو، غاو وكامل أنحاء السودان الغربي (طاهري بوسعيد، 2020 م، صفحة 319).
- ❖ توفرها على شريان الحياة وعصب التجارة الماء، إذ تحتوي على خزان مائي كبير يتمثل في وجود عدد من العيون كعين كلارة، العونة، عين أمبارك، عين البنات، وعدد معتبر من الفقارات والآبار مما وفر الكلأ الذي تحتاجه دوابُ القوافل. (جعفري، 2019 . 2020 م، صفحة 45).
- ❖ كثرة واحاتها فالوفرة المائية شكلت أحد أهم عوامل الجذب السكاني وأمنت سبل الراحة للمسافرين والتجار على حد سواء، كما ساعدت على نشوء الزراعة وتشكُل الواحات، فالويس فانون (louisvoinot) يأكد على أن واحات عين صالح هي الأكثر أهمية في تديكلت، وقدر مجموع نخيلها بنحو(90.000) نخلة .((Louis, 1908, p. 25)).

- وفرة وجودة محاصيلها الزراعية وفي مقدمتها التمور، وعديد المحاصيل الأخرى كالحبوب، الحناء التبغ، مما وفر قاعدة اقتصادية محلية تدعم السكان والزوّار من تجار وحجيج .
- امتهن قسم من ساكنيها لتجارة واشتغالهم بها إمّا كتجار أو وسطاء، شأنهم في ذلك شأن معظم سكان منطقة تديكلت وإقليم توات، "فغالبية رجال الإقليم، قد سافروا إلى بلاد السودان مرة واحدة على الأقل" (جعفري ،عبو، ديسمبر 2014 م، صفحة 9).
- حلقة تواصل حضاري وجسر ثقافي لنقل الأفكار والمعرفة شمال جنوب، على غرار السلع والبضائع (حنيدي، 2018 م، صفحة 45).

إجمالاً فإن موقع عين صالح الاستراتيجي، مكنها من الاضطلاع بأدوار متعددة الأبعاد، فهي مصدر للموارد الاقتصادية ومركز تجاري وحضاري وحلقة وصل الشمال بالجنوب، ما أضفى عليها أهمية بالغة في الحقبة القديمة والحديثة.

4.المسالك والطرق التجارية (عين صالح ـ السودان الغربي)

اشتملت شبكة الطرق، التي تعبرها القوافل الحجية والتجارية، وتربط عين صالح بوجهات مختلفة، على عدة مسارات رئيسية أبرزها:

شمـــــالاً :

مسار الجزائر البليدة مرورا بالمدية، فالأغواط واحة وادي ميزاب وصولاً إلى عين صالح، أقبلي، توات، فتبكتو، يتمتع بأهمية تجارية كبيرة لتوفره على الأمان رغم طول مسافته وشح مياهه(Ecarette, 1844, p. 137) ، فلقد كانت القوافل تقطعه خلال 23يوما من مدينة الجزائر العاصمة إلى غاية عين صالح، ثم عليها المسير مسافة 20 إلى 30 يوماً للوصول إلى وجهتها (تمبكتو) في السودان الغربي (هرباش، 2011 . 2012 م، صفحة 2)، وتتغير مسافة المسير من قافلة إلى أخرى تبعاً للظروف الطبيعية وتعداد القافلة، ينشق عنه مسار آخر من سكيكدة نحو قسنطينة مرورا ببانتة، ثم واحة الزيبان (بسكرة) فتقرت ورقلة، بلاد ميزاب البيوض، ليتفرع نحو عين صالح ،أقبلي، توات (طاهري، 2022 . 2023 م، صفحة 214).

غربـــــاً :

مسار ينطلق من فاس من واحات تافيلالت، فقيق، توات، عين صالح، انتهاءً بإقليم السودان الغربي، وصفه المستكشف الفرنسي دوكولومب (colom) بأنه "الطريق الطبيعي الوحيد من فرنسا إلى بلاد السودن، تملؤه أشجار النخيل والمساكن"(colomb, 1858, p. 546) .

شرقـــــاً :

مسار طرابلس، غدامس، تينغيين، البيدة، لمسقم، الزرايبة، أرسمالن، عين صالح (لنج، 1974، صفحة 331 . 335)، وهناك مسار ينطلق من بسكرة ومنها باتجاه الوادي، وصولاً إلى غدامس وغات (شترة، 2016، صفحة 42) بوصول الاحتلال الفرنسي إلى تخوم الصحراء، ستتضاعف حركية القوافل التجارية على هذا المسلك، الذي باتت تفضله تحاشياً للقوات الفرنسية (باير، 1996 م، صفحة 597).

مسار غدامس، تيماستين، عرق الريح، أما لليل، حاسي أولاد مسعود، وصولا إلى إقسطن بعين صالح، يستغرق مسير 20إلى 22 يوماً له طريق فرعي باتجاه الشمال الغربي، يفضي إلى تافيلالت أحد أوعر المسالك، فهو يخلو من محطات الاستراحة التي تمُكن القوافل من التزود بالمؤونة، كما أشار إلى ذلك الأغواطي في رحلته (الأغواطي، 2011 م، صفحة 98) ، مسار غات عين صالح ينساب من غات عابراً محطات : قايوت، عيدو،أركنيزتارسيت، خلغام، انتفوس، أمغيدة، غاريس، أمسارج، تنحقن يستقر في منتهاه إلى حواضر توات عبر مَعبُرِ عين صالح بإقليم تديكلت، التي تبعد عن غات مسيرة 20 يوما يفتقر بدوره لمحطات الاستراحة، لكنه من المسالك المفضلة لتجار قطعان الماشية في طريقها إلى أسواق توات (كاريت، 2016، صفحة 279).

جنوبـــــاً:

مسار تمبكتو عين صالح: رحلته تبدأ من تبمكتو، لتصل أسواق عين صالح مروراً ببوجبيهة، المامون، عين رنان، والن، تيمادنين عين الشبي، المالح، زاوية حينون، أقبلي، تيط، إينغر إنتهاءً بعين صالح (لنج، 1974، صفحة 331 ـ 335).

مسار قاو، كاهر، غات، الهقار، عين صالح وهو المسار الذي خصه ابن بطوطة بالوصف في رحلة عودته إلى توات قادماً إليها من مدينة قاو (بن بطوطة، 1997 م، صفحة 407). مسار غاو أقبلي تنقارا، تبنكورت، تبرشات، أنافيق، أقلهوك، تساليت، حاسي باكتليس، البرج، تنزروفت، والن، مراقن أقبلي (دكار، 2009 . 2010 م، صفحة 69).

مسار تيميمون وجني يعبر من عين صالح إلى تيط، أولف، ثم أقبلي، تنزروفت بير مغدن، بيرتانتيناه، المبروك، أبوعجابيه ، تمبكتو، سانساندي، سيغور، جني.

5. سوق عين صالح ومركزها التجاري:

سوق عين صالح يعدُّ من الأسواق، التاريخية المهمة في الصحراء الجزائرية، لقد نشأ كجزء من النشاطات التجارية الحيوية، التي مرت عبر الصحراء الكبرى منذ قرون، تتمثل أهمية هذا السوق في كونه محطة تجارية مهمة تربط شمال أفريقيا ببلدان إفريقيا جنوب الصحراء، يجوبه التجار من مختلف الأنحاء، فهناك التمبكتيون، الغدامسيون والتواتيون ،الشعانبة، المزابيون كما جاء في كتابات الرحالة الألماني جرارد رولفس(Rohlfs)، فالسوق منذ نشأته كان محطة رئيسة لتبادل السلع في طريق القوافل التي تربط المغرب العربي بمنطقة السودان الغربي، شهد السوق ازدهارًا كبيرا خصوصاً في القرن التاسع عشر فالمدينة حينها كانت منطقة جذب للتجار القادمين من الشمال، ومناطق الجنوب مثل مالي والنيجر بسبب استقرارها السياسي، مقارنة بباقي حواضر الإقليم التواتي وهوما صرح به دوماس (daumas):"إن صالح كانت خلال القرن التاسع عشر الميلادي، تتكون من خمسمائة (500) إلى (600) منزلاً، لا تحتوي على أسوار أو قصور، كما تعرف بقوتها وليس لها ما تخشاه من الأعداء، وهذا على الرغم من تعرضها بين الفينة والأخرى، لبعض الهجمات والاشتباكات من الشعانبة، التي كانت تستمر من خمسة إلى ستة أيام"(Daumas, 1845, p. 292) . أكبر أسواق منطقة تديكلت يتموقع ب(قصر العرب) مركز المدينة وعاصمتها السياسية، محطة عبور رئيسية للاستراحة وتبادل السلع المحلية بالمستوردة، كما أوضحه المستكشف الألماني جيرارد رولفس(rohlfs) الذي حل بالمنطقة سنة 1864م : " عين صالح تعتبر منطقة عبور رئيسية "، تردها البضائع من وجهات عدة، تافيلالت بالمغرب الأقصى، طرابلس الليبية، توات، بني ميزاب، السودان الغربي وغيرها من المناطق (جعفري ، بعثمان، 2020 م، صفحة 9) ، أين يتم تبادل ومقايضة أنواع مختلفة، من السلع والبضائع منها الأجنبية و المحلية ، وفي مقدمتها التمور التي تميزت بجودتها فضلاً عن الحبوب، وبعض المنتجات الزراعية المحدودة التي كانت تزرع بواحات المدينة، كالتبغ الذي كان يحظى بشهرة وإقبال كبير من قبل السودانيين، فإذا كان سعر حمل 100كلغ منه يتراوح محلياً ما بين 25 إلى 30 فرنك فرنسي، فقد وصل في السودان الغربي إلى حدود 80 و100 فرنك، (طاهري، 2022 . 2023 م، صفحة 230) ، إضافة إلى المنتجات الحرفية كالسجاد والمنسوجات، الخزف والسكاكين المرايا الإبر، أما السلع المستوردة فشملت المواد الأولية والأدوات الصناعية البسيطة التي لم تكن متاحة محليًا، كان السوق يعج بمنتجات السودان الغربي، كتبر الذهب القادم من المناطق الواقعة جنوب "كانو" والعاج والأقمشة والقطنيات المحاكة في مدينة "كانو"، وريش النعام " الذهب الأبيض" ذو الجودة العالمية

الذي بلغت قيمة صادرته سنة 1866م نحو ليبيا 20.000 فرنك فرنسي(Rohlfs, 2011, p. 233) ، فضلاً عن الجلود والتوابل، ذات الأهمية في السوق المحلية، أما قوافل السودان الغربي المنطلقة من مراكز (تمبكتو، كانو، جني) فكانت تصل سوق عين صالح منهكة بعد رحلة شاقة ومضنية محملة ب"البضائع البشرية"، التي غالباً ما تُجلب نتيجة للحروب المحلية والغارات (الهادي، 2004 م، صفحة 155) ليتم فرزهم وانتقائهم وتصنيفهم في "رحبة الرقيق" حسب السن، الجنس، والمهارة ثم يوجهون حسب الحاجة عبر اتجاهات ثلاث :

شمالاً: باتجاه ورقلة ثم تقرت وتونس.

شرقاً: باتجاه غدامس ثم طرابلس وليبيا.

غرباً: باتجاه حواضر توات الكبرى كتمنطيط وغيرها من الحواضر للاستخدام المحلي في الفلاحة وحفر الفقارات (دوفارييه، 2005 م، صفحة 170). إذ استعين بهم للاهتمام ببساتين النخيل والقمح مقابل المأوى والطعام ضمن نظام "الخماسة"، بينما تذهب الأرباح لأرباب البساتين من أعيان وأصحاب زوايا (أبو القاسم، 1998 م، صفحة 355).

خضعت التجارة الصحراوية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 19م لتنظيمًا اقتصاديًا قائمًا على آليات تمويل تقليدية، من أبرزها نظام المقايضة وقد شمل هذا النمط مختلف مجالات التبادل التجاري في الصحراء، بما فيها تجارة العبيد باعتبارهم جزءًا من السلع المتداولة ضمن القوافل التجارية (HUNWICK, 1999, p. 54)،وقد كشف النوازل الفقهية لعلماء توات عن حضور الأرقاء في النشاط الاقتصادي المحلي، خاصة في الأعمال الزراعية كحفر الفقارات وتنظيم توزيع المياه، وهو ما يعكس اندماجهم في البنية الإنتاجية وخضوع أوضاعهم لضوابط فقهية واجتماعية دقيقة (جعفري، 2007 م، صفحة 215) ، أما عن أسعارهم فقدرت بالمثقال الذهبي بعد تثمينهم وفقاً للسن والقدرة البدنية إذ تراوح سعر الواحد منهم ما بين 15 إلى 35 مثقالاً ذهبياً، ويعوض الذهب بالمقايضة للحصول على السلع الشمالية مثل المنسوجات والأسلحة والورق أو بألواح الملح العابرة من "تودني"، وبالحبوب والتمر في أسواق السودان وقد ذكر رولفس(Rohlfs) بأن القوافل التجارية عادةً ما تقصد توات وهي محملة مابين (1000إلى1700)عبد وهي تجارة مربحة جداً على الرغم من المخاطر المحفوفة بها (جعفري، 2021 م، صفحة 355) . والجدير بالذكر أن أسعار العبيد كان ترتفع بمجرد وصولهم إلى الشمال، اجتماعياً أساهمت هذه التجارة في ظهور فئات اجتماعية جديدة في قصور عين صالح وحواضر إقليم توات، ما نتج عنه إ ند ماجي ثقافي ولغوي

عميق ظهرت آثاره في العادات والتقاليد المحلية بدأت تجارة العبيد بالتقلص والتلاشي تدريجياً مع نهاية القرن التاسع عشر نتيجة عوامل عدة ، أبرزها الضغوط الدولية لإلغاء الرق، والتغلغل العسكري الفرنسي الذي بدأ يضيق الخناق على المسالك التقليدية، ناهيك عن اهتمام التجار بسلع أخرى كريش النعام والذهب نتيجة المخاطر العالية لتجارة البشر في ظل الرقابة الاستعمارية (دوفارييه، 2005 م، صفحة 170).

أما سلع الشمال الآتية من المغرب الأقصى تونس وليبيا، فهي متنوعة منها القهوة والسكر البهارات الليبية، الملابس المطرزة، الأواني النسيج، المصنوعات الأوربية، كالأحذية الأسلحة النارية، العطور، الورق التي كانت محل اهتمام تجار المناطق الصحراوية المجاورة (طاهري، 2022 . 2023 م، صفحة 230).

ونخلص مما سبق إلى أن سوق عين صالح، كان واحداً من أغنى الأسواق وأكثرها وفرة وتنوعاً وأرخصها أسعاراً في إقليم توات، لعب دورًا كبيرًا في تنشيط الحركية التجارية بين الصحراء الجزائرية وإفريقيا جنوب الصحراء، إذ وفر للتجار ملاذاً آمنًا لأخذ قسط وافراً من الراحة وإعادة التعبئة والتبادل التجاري ، لاستكمال رحلتهم الطويلة عبر الصحراء، كما أسهم التوافد الغفير للتجار في إنعاش الأحوال الاقتصادية للحاضرة وأهلها، وفتح أمامهم سبل عيش متنوعة كتمويل القوافل وتوجيه مسارها فضلاً عن البيع والشراء وأكسبهم مهارات وتقنيات حرفية مستحدثة، فالسوق لم يكن مجرد مكان لممارسة التجارة فحسب، بل هو أيضًا منارة لتبادل الثقافات وتعزيز الروابط الحضارية مع دول الجوار، فعبرهُ تم تداولُ عديد الكتب والمخطوطات، التي حملت معها المعرفة الدينية والفقهية إلى بلاد السودان الغربي، وبفضلها اكتسب السكان المحليون عادات وثقافات جديدة، إذ كان قاعدة تفريغ وتجميع لمختلف التجار المتوافدين من شتى الأصقاع، محملين بالسلع والبضائع إلى جانب مورثوهم الفكري والحضاري، وفي الوقت ذاته كان نقطة انطلاق للتجار المحلين بمواردهم الاقتصادية وموائدهم الفكرية نحو شعوب الجوار. فالتجارة آنذاك حولت عين صالح إلى مركز إشعاع ثقافي ومعرفي هام في الصحراء الجزائرية

6 .نظام المقايضة والتبادل التجاري:

تم عملية التبادل عبر آلية المقايضة المباشرة، كاستبدال التمر باللحم المجفف (القديد) والملح بالذهب (حامد، 2015 . 2016 م، صفحة 90 ـ 94)، و مما يعكس طبيعة المعاملات الاقتصادية القائمة على المعاوضة العينية، وصولاً إلى المقايضات البشرية التي اتخذت من الملح ثمناً للعبيد، مع انتشار محدود لبعض العملات المحلية والأصناف النقدية التي لم يتجاوز استخدامها حدود الإقليم التواتي، تعرف بالفرنك التواتي (الفراك) أو الريال التواتي، يعادل 1.80فرنك(Frescaly, 1886, p. 241) ، والأجنبية منها العثمانية (الموزنة)، عملة فضية

تساوي 0.075 فرنك ((عزيز، 1989 م، صفحة 658)، (المحبوب السلطاني) عملة ذهبية تقابلها 5 فرنكات فرنسية المنشأ، أما المغاربية فنجد الدرهم (البوجو) وهناك الدرهم (الإسماعيلي) مقداره40 موزنة، يعرف أيضا بالمثقال كونه مركبا من أربعة مثاقيل أحمدية، ومن المسكوكات الأوربية نجد الإسبانية (تعادل قيمتها2 فرنك فرنسي)، (الدورو بمدفع) يعادل (5 فرنكات فرنسية)، ولما كانت غاية الإدارة الاستعمارية الفرنسية إحكام قبضتها وبسط نفوذها السياسي على الإقليم، عمدت إلى تقويض النظام النقدي المحلي وتعميم عملتها (الدورو)، يساوي مقدار (خمس فرنكات) وقيمته توازن 15 أوقية، إلى جانب (الصدفيات) أو(الكوري) أو(العودة) عُملات سودانية أقل أهمية وانتشارا من العملات السالفة الذكر (هرباش، 2011 . 2012 م، صفحة 308 ،309) لثمنها بخس، فمثقال ذهبي واحد يعادل (4000) كوري، ومن العملات الذائعة الصيت (العدّية) قطعة ملح يختلف وزنها باختلاف حجمها، تستخدم على نطاقاً واسع في حركتي البيع والشراء، يقول أبن بطوطة: « بالملح يتصارف أهل السودان، كما يُتصارف بالذهب والفضة، يقطعونه قطعاً ويبيعونه "، أما الودع فهو أقل قيمة يكثر التعامل به في أسواق السودان الغربي، وقد وصفه عبد السلام الشباني في رحلته قائلاً: "عملة رديئة وهو أبخس قيمة من العملات الأخرى المفضلة." (جاكسون، 2020 م، صفحة 39).

ومن يبقى (المثقال الذهبي) المقدر وزننه ب4.5غ أي ما يعادل 18 دورو إسباني، من أبرز المسكوكات الذهبية المتداولة في الأوساط التجارية كمعيار أساسي لتبادل، (المثقال الذهبي)، مثلما أشار إلى ذلك معظم المستكشفين الذين مروا بالمنطقة، أمثال دوكولومب (de colomb) ،رولفس (rohlfs)، ديبورتي(deporter)، فانون(voinot)وغيرهم (الهادي، 2004 م، صفحة 336).

ختاماً يمكن القول أن معدن المسكوكات تنوع ما بين ذهب وفضة ونحاس، على أن المسكوكات الفضية كانت الأكثر طلباً وتداولاً، أما قيمتها فتتغير من إقليم إلى آخر تأتي قي المقام الثاني بعد المقايضة و يُعزى تنوعها إلى الموقع الإستراتيجي للإقليم، كونه نقطة تصريف وتحميل القوافل التجارية العابرة لصحراء من مختلف الأمصار والأقطار. وقد خضع تحديد صرف الأسعار لعوامل عدّة، منها قانون العرض والطلب، تكاليف النقل، قلة أو ارتفاع الكثافة السكانية، قيمة الضرائب المفروضة على البضائع، احتساب طول مسافة الطريق الذي تقطعه القافلة التجارية، دون أن نغفل تأثير العوامل المناخية والسياسية وطبيعة التضاريس ومخاطر الطريق .

7 .خاتمة:

تأسيساً على مما سبق نتوصل إلى ما يلي:

1 ـ شكلت مدينة عين صالح بموقعها المتميز، مركزاً تجارياً حيوياً في القرن التاسع عشر ولعبت دوراً محورياً في تجارة العبور إذ لم تكن مجرد محطة عابرة، بل كانت "مركز ثقل" لوجستي وميناءً برياً استراتيجياً، نجح في ربط إقليم توات بعمق القارة الإفريقية ، مما جعلها نقطة ارتكاز لا غنى عنها للقوافل الكبرى.

2 ـ رغم الأهمية التجارية لإقليم توات، إلا أن عين صالح خلال القرن 19م، تفرّدت بمكانة خاصة بفضل موقعها الجغرافي وهدوئها السياسي وغنى مواردها الاقتصادية وتنوع سلعها.

3 ـ أسهم وجود الواحات والعيون المائية الفقارات والآبار، في ازدهار عين صالح كمركز تجاري نشيط، في قلب الصحراء الكبرى.

4. تتمتع عين صالح بمكانة سياسية واجتماعية مهمة، ففيها تجتمع القوافل لتتبادل المعلومات والأخبار، ما حولها إلى مركز تداول للمعلومات، واتخاذالقرارات التجارية في المنطقة.

5 ـ اتصف سكان وقبائل عين صالح، بمهارتهم التجارية وخبرتهم في التعامل مع قوافل الصحراء، وبرعوا كوسطاء تجاريين، يسهلون صفقات التجارة، ويوفرون الحماية لقوافل السلع والركاب.

6 ـ عين صالح سوق مهم لتبادل السلع المتنوعة، كالتمور المنتجة محليًا ذات الجودة العالية، إضافة إلى سلع العبور كالملح، ومختلف البضائع القادمة من غرب إفريقيا، مثل الذهب، والرقيق، والعاج.

7- عين صالح معبر طبيعي لتناقل و تلاقح الأفكار، وفضاء رحب للتبادل الثقافي الحضاري، فلقد كان لظاهرة الفقهاء التجار من أبناء المدينة والمارين عليها، عظيم الأثر في نشر الإسلام والعلوم الشرعية، في مختلف مناطق السودان الغربي.

8- تجاوز الدور التجاري لعين صالح الجانب المادي ليشمل انتقال الأفكار، المذهب المالكي، والطرق الصوفية، مما ساهم في بناء هوية مشتركة ووشائج قرابة متينة بين شعوب الإقليمين.

9- حقق سوق عين صالح التكامل الاقتصادي بين إقليم توات والسودان الغربي، إذ وفر لهذا الأخير احتياجها من المنتجات عن طريق الإنتاج المحلي، أومن خلال سلع العبور، وأمن لساكنة عين صالح مستلزماتهم من بضائع السودان الغربي، ما أتاح توافر السلع اللازمة لمجتمعات كلا الجانبين، وأوجد فرص عمل، واستقراراً اقتصاديًا لتجار وأهالي المناطق المحيطة.

10. لعبت مدينة عين صالح دوراً محورياً، في تسهيل حركة التبادل التجاري، بين إقليم توات وممالك السودان الغربي، إذ كانت همزة الوصل بين الشمال والجنوب، ما عزّز العلاقات الاقتصادية والثقافية بين شعوب المنطقتين.

11. عين صالح لطالما كان لها دور رياديّ في ربط السودان الغربي، بمختلف المراكز الحضارية في الشمال عبر مختلف العصور.

12- لم يكن التبادل التجاري مجرد نشاط اقتصادي، بل كان محورًا استراتيجيًا للتأثيرات السياسية والثقافية والدينية التي شكلت المنطقة.

قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفـــــــــــات:

المصـــــــادرالعربية:

1. الحاج ابن الدين، الأغواطي (2011 م) ، في إفريقيا والسودان والدرعية ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر.
2. محمد بن عبد الله ،بن بطوطة ،(1997 م)،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب االأسفار، أكاديمية المللكة المغربية، الرباط.

المصادر المترجمة:

1. أوجين دوفاريه. (2005 م)، *طوارق الشمال،تر*:عبد القادر زادية، المؤدي، ط1، دار الأمل، الجزائر.
2. ألكسندر ،غوردون ،لنج (1974). رحلتان عبر ليبيا، مكتبة الفرجاني ، طرابلس.
3. جيمس، غراي جاكسون، (2020 م) ،رحلة عبد السلام الشباني من فاس إلى تمبكتو والهوسة خلال القرن 18 م، إرث للنشر والترجمة.
4. ك، كاريت ، (2016). أبحاث حول الجغرافيا والتجارة في الجزائر الجنو بية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.
5. باير. س (1996 م)، الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر تاريخ إفريقيا العام ،ج6، صيب درغام وأولاده، ،لبنان.

المراجع:

1. أحمد، جعفري (2007 م)، نوازل علماء توات ، ط 1، دار القصبة، الجزائر.
2. سعد الله ، أبو القاسم (1998 م). تاريخ الجزائر الثقافي .ج8 ، *تاريخ الجزائر الثقافي*، ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت.
3. عبدالقادر بوية. (2015م). تيديكلت وثائق ومخطوطات، المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، (الجزائر).
4. عزيز، سامح ، (1989 م)، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع ،بيروت.
5. فرج، محمود فرج ، (1977م). إقليم توات خلال القرنين 18 و19 م ، ديوان المطبوعات الجدامعية ، الجزائر.
6. مبروك ،الهادي ،(2004 م). توات والتحولات الاقتصادية والاجتماعية (1800 –1900)، ط1 ، دار الهدى، الجزائر.
7. ناصر الدين ، سعدوني. (2012 م). النظام المالي للجزائر في العهد العثماني (1792 ـ 1830) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ،. الجزائر.

الأطروحات:

1. أحمد، دكار. (2009 / 2010 م)، حاضرة أورجلان وعلاقتها بالتجارة بالسودان الغربي من سنة 1000هـ. إلى 1301 هـ / 1591 م . 1883 م،قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، أدرار ،الجزائر.
2. أمحمد، جعفري، (م2020/2019). الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية لتيدكلت، قسم العلوم الانسانية ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية و العلوم الاسلامية،جامعة أدرار ،الجزائر.
3. حامد، لمين (2016/2015 م)، التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي(1317.999هـ/1900.1591م)،قسم العلوم الإنسانية ،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،جامعة غرداية ،الجزائر
4. زاجية ،هرباش ،(2011 –2012م)،الوضع الاقتصادي في توات من خلالمخطوط الغنية في القرنين 12و13 هـ/18و19م، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.الجزائر

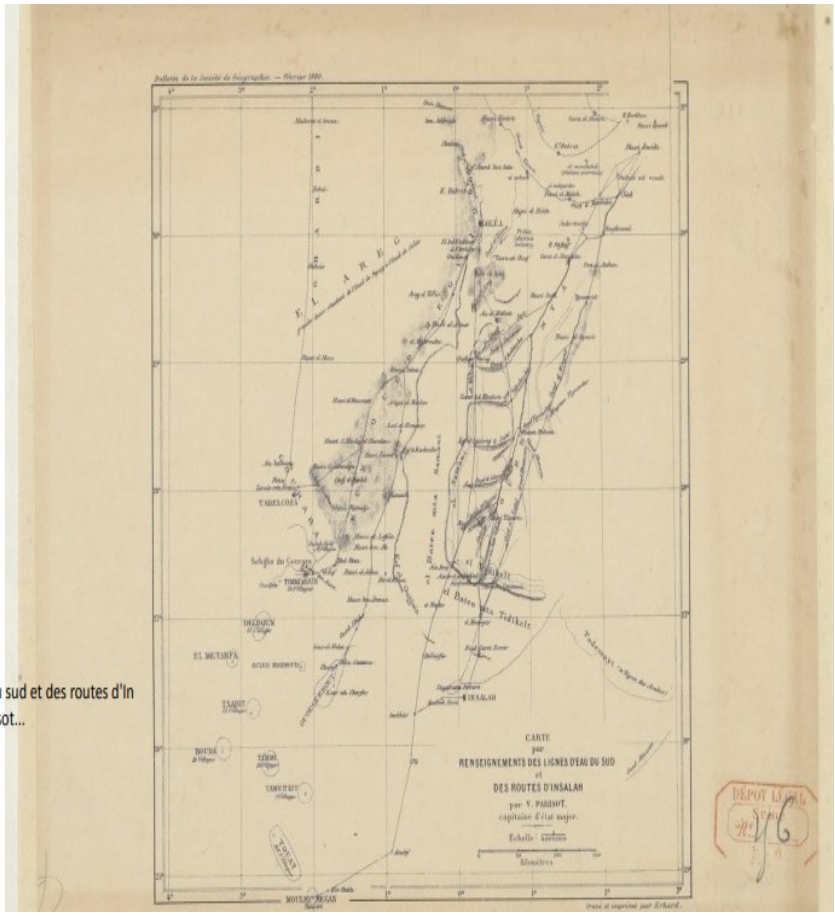
5 . عبدالمالك ،طاهري ،(2022 /2023م) ، منطقة توات في القرن 19م من خلال كتابات الرحالة والمستكشفين، قسم العلوم الانسانية ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية و العلوم الاسلامية،جامعة أدرار،الجزائر.

المصـــــــــادر الأجنبية:

1. Daumas .(1845) .*Le Sahara Algérien، études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français* . Bab Azoun Alger .
2. De colomb .(1858) .*Explorations des Ksour et du sahara de la province d'oran* . imprimerie de gouvernement d'alger.
3. Ecarette .(1844) .*Recherches sur la Géographie et le Commerce de l ' Algérie mérodionale* .Exploration scientifique de l'Algérie.
4. Frescaly .(1886) .*Journal de route et correspondance* .G.charpentier et cie، PARIS .
5. HUNWICK, J. (1999). Timbuku and the Songhay Empire.. Leiden: Brill.
6. Louis .(1908) .، *Le Tidikelt étude sur la géographie,l'histoire,les moeurs du pays* . edition jacques Gandini. Paris .
7. Rohlfs. (2011). *voyages et explorations au sahara.* Centre d'étude sur l'histoire de sahara، Paris.

3. ملاحق:

الشكل رقم 01: خريطة معلوماتية لخطوط المياه الجنوبية

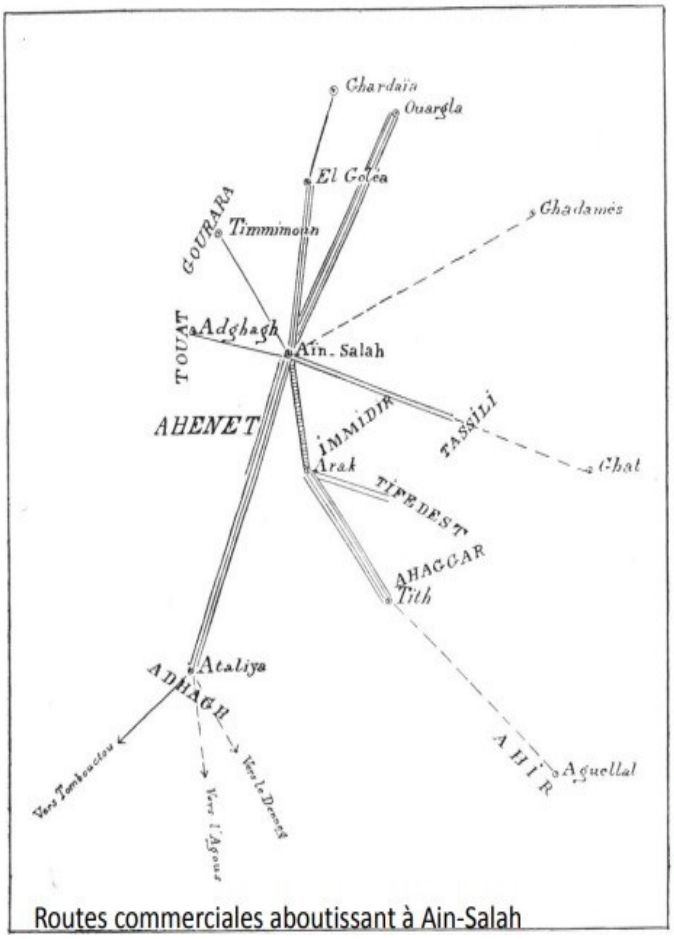


Parisot, A.V. (18..-18..? ; capitaine)
: Carte par renseignements des lignes d'eau du sud et des routes d'In salah [Document cartographique] / par V. Parisot...
Échelle(s) : 1:4 000 000
Publication : [Paris] : Erhard, [1880]

http://ark.bnf.fr/ark:/12148/cb407617510

المصدر: (عائشة بلامة، 2024 م، صفحة 6)

الشكل 02: الطرق التجارية المؤدية إلى عين صالح



A. Métois, Ain-Salah et ses dépendances
Annales de géographie Année 1907 88
pp. 337-349

12

المصدر: (بلامة عائشة، 2024 م، صفحة 8).

الشكل 03: سوق عين صالح سنة 1900.



المصدر: (حامد، 2015 . 2016 م، صفحة 164)